كان خطأ التحليل والممارسة المبنية عليه باهظ الثمن دفعت الثورة مقابله تصفية وجودها في شرق الاردن في أيلول ١٩٧٠ . وبجانب هذا الثمن غالي التكاليف فان فقدان الساحة الاردنية تفاعل بنتائجه ومترتباته سلبيا حتى انه يجـوز القول ان كل أزمة ــ هكذا باطلاق وبجزم ــ تعيشها الثورة راهنا مرتبطة وثيقا بفقدان ساحـة شرق الاردن وناتجة عن هذا السبب . وتكفي الاشارة للتدليل علـى ذلك الى الازمـات المتلاحقة التي تعيشها الثورة في لبنان والتي هي في جانب منها نتيجة لاضطرار الثورة الى نقل حجمها الاكبر الى الساحة اللبنانية التي تختلف بتركيبها السكاني والاقتصادي والسياسي عن شرق الاردن ، مما ولد أوضاعا جديدة في لبنان اتخذتها القوى المعادية مبررا لافتعال معاركها مع الثورة . كما تكفي الاشارة كذلك الى ان الاختلاف الذي حدث في الصف الفلسطيني بعد المجلس الوطني الثاني عشر كان في احد جوانبه ــ دون ان نقع في التبسيط ــ متسببا عن فقدان الساحـة الاردنية . فالسلطة الوطنية على الارض الفلسطينية التي سيجلو عنها العدو نظر اليها « الرافضون » على انها شريحة ستظل تحت رحمة المطرقة الاسرائيلية والسندان الهاشمي ، الامر الذي يثير التساؤل عن مدى نجاعة الشعار من وجهة النظر هذه .

ان تمثل الوظيفة الكيانية لشرق الاردن وعلاقتها بالقضيـة الفلسطينية ، واتجاه الثورة ، المحكوم لجملة عوامل موضوعية ذكرناها سابقا ، نحو اتخاذ شرق الاردن القاعدة الاساسية لها ، يطرحان ثلاث مقدمات تشكل صلب التفكير في هذه المسألة :

الاولى : ان الثورة الفلسطينية بحاجة الى قاعدة انطلاق لها ثابتة تحكم سيطرتها عليها في المدى الطويل ما دامت هي تمارس أسلوب حرب الشعب طويلة النفس . وقد أثبتت تجارب الشعوب المعاصرة ان هذه القاعدة ضرورية ضرورة مطلقة لاستمرار الثورة ، أي ثورة ، تستهدف تحرير الارض . من التجارب الايجابية كانت فيتنـام الشمالية هذه القاعدة لضمان انتصار الثورة في الجنوب .

والثانية : ان الدول العربية جميعها لن تكون هذه القاعدة التي تتمتع بالديمومة والثبات والتي تستطيع منها الثورة أن تمارس فعلها النضالي ، لسبب واحد ــ وننظر ايجابيا للموضوع ــ هو ان استراتيجية الثـورة ستصطدم في المدى البعيد حتمـا باستراتيجية الدولة فلكل حساباتها الخاصة بها ، حتى الانظمة الاكثر تقدما في المنطقة والاشد نضالية فهي ان طابقت ما بين استراتيجية الثورة واستراتيجية الدولة فان تكتيكاتها وممارساتها اليومية لا تلتقي دائما مع تكتيكات الثورة وممارساتها اليومية . ولان الدولة شكل من النظام مستقر يتمتع بالقدرة فهي سـتخضع الثورة لتكتيكاتهـا وممارساتها اليومية وليس العكس .

والثالثة : ان تغيير النظام في شرق الاردن او اسقاطه كما هو مطروح كشعار لن يحول شرق الاردن الى هذه القاعدة الثابتة للثورة الا اذا كان هذا الهدف خطوة الى تغيير البنية الكيانية نفسها لشرق الاردن . ان احلال نظام بديل للنظام الهاشمي في شرق الاردن دون اقتحام المسألة الكيانية كما هي هناك لا يعني الا خلق « نظام آخر » في سلسلة الانظمة الراهنة ، ستجد الثورة نفسها بعد أن يمكن جذوره في الارض ، انها باستراتيجيتها من حيث هي ثورة في منطق مختلف معه من حيث هو دولة . وهكذا فان اسقاط النظام كهدف ينبغي ــ لاستمرار الثورة ــ أن يستتبع أيضا الوجه الآخر من العملة : نعني الكيان نفسه . وهذه النظرة الجذرية هي الكفيلة بكبح تعارض منطق الدولة ومنطق الثورة بحيث تكون الثورة هي صاحبة المقدرات في شرق الاردن ، ويتم ذلك بخلق الكيان ــ الثورة وبنائه علـى أسس سكانية واجتماعية وسياسية تضمن